

أولاً : رُبْحِي مَرِح

تَدَاخُلُ اللُّغَاتِ وَأَبْعَادُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

الظواهر اللسانية من حيث تطورها الزمنى وقد أصبحت لهذه الدراسات منذ الأربعينات مجالات واسعة نظرا لاتساع شبكة الاهتمامات لدى علماء اللسانيات فلم تعد الدراسة تقتصر على الفاظ معزولة أى منفصلة عن مؤثراتها بل اندرج البحث ضمن مجموعة تتفاعل وتتكامل موصولة الرباط بفنون شتى كالنحو والصرف والاشتقاق وأسلوب النحت والرص اللغوى انطلاقا من مؤثرات مختلفة واعتبارا للظواهر اجتماعية تكون التعابير فيها مجرد تعريفات للنسب والصلات وحتى الشياى التى تطبع الظواهر وتبرز السمات الدقيقة بين كلمات خضعت لنفس التأثيرات فى لغة ما مع إمكان توسيع نطاق التنظير الى لغات مختلفة وهذا هو ما يمكن أن نسميه « السيميائى المقارن *Sémantique comparée* » حيث يحاول خبراء اللسانيات الانطلاق نحو أفاق أوسع يستشفون فى مجاهلها مواقع الصلة بين لهجات ولغات مختلفة من خلال شبكة انسانية شاملة .

ولا يمكن أن تقرر مدى أهمية هذا العلم بشرط أن لا يقصد به مجرد إبراز تأثير لغة على أخرى

السيميائى *Sémantique* علم يهتم بدراسة معانى الكلمات وتغيراتها متمما بذلك علم الصوتيات *phonétique* المختص بالنطقيات وهو علم ظهرت له أبعاد جديدة ، وإن كان علماء اللغة العرب قد بسطوا القول فى كثير من مجاله — وخاصة حول ظواهر اللغة كجلى للتعبير عن خلجات الفكر البشرى وكذلك تطور معانى الكلمات فى إطار منهجية حديثة هى منهجية التزامن *synchronisme* أى تزامن الكلمة وظواهرها بمعنى بروز هذه الظواهر اللغوية فى زمن ما ضمن تأثيرات اللسان واللهجات وهذا العلم هو ما عرف بالسيميائى التزامنى *Sémantique synchronique* وقد أطلقنا عليه فى بحث سابق (1) اسم «سيميائى المبانى»

وأوليناها عناية خاصة نظرا لبعده العميق الهادف الى استجلاء كل ما يتصل فى عصر ما بالرابطة التعبيرية القائمة بين الدال والمدلول كما أطلقنا اسم سيميائى المعانى *Sémantique diachronique* على العلم الذى يستهدف تحيىس التغيرات الطارئة على مدلول الكلمة ومفهومها أى الكشف عن خاصية

(1) مجلة اللسان العربى م 70 ج 1 ص 5

لاشباع نهم عنصري أو شوفيني . فهو يهدف من خلال دراسة تطور الكلمة الى تتبع هذا التطور في ابعاده بالنسبة لشعب آخر أو مجموعة شعوب للكشف من ظواهر اجتماعية تعاملت في منطقة ما من مناطق العالم .

— كلمة coffin ومعناها التابوت وهي قريبة من كلمة « كفن » وهو ما يلف به الميت .

— كلمة delve معناها يحفر وينقب وهو كناية عن البحث في أسفل كما يقال بالعربية دلا الدلو يذلوها دلوا أرسلها في البئر ودلاها كذلك وأدلى الدلو .

— كلمة doom ومعناها الشؤم والموت والهلاك أى كل ما فيه شر وهذا الجذر يشمل كثيرا من الكلمات التى تؤدى هذه المعنى في اللفتين مثل الضر أو الضيم والضنك ، ويمكن مقارنة اللفظ الانجليزي هنا بكلمة ضيم بمعنى الظلم .

— كلمة fake ومعناها زيف ولفق ويمكن مقارنتها بكلمة افك من الامك وهو الكذب والتزييف .

ومعناها ايضا الحلقة والفلكة أى الحلقة الدائرة .

— كلمة flog تعنى السياط والجلد وهي شبيهة بلفظة « فلق » ومعناها العود الذى تشد رجلا المجرم اليه فيضرب عليهما « والفلق » اذا أطلقت تنصرف للجلد والسياط وتوجد كلمة انجليزية أخرى هي flick معناها ضرب ضربة سريعة بالسوط .

— كلمة fetch ومعناها بحث ويمكن تقريبها من « فنش » العربية .

— مادة flick تستعمل في وصف حركة الضوء فيقال flicker بمعنى اضطراب وخفقان النور وتفيد أيضا الومضة والبصيص ويقال بالعربى فلق الله الصبح اظهره بكشف الظلام وانفلق الشيء انشق والفلق الصبح والفجر وما انفلق من عبودها فهو كناية عن النور في اضطرابه على أن مادة « فلك » نفسها بالعربى تعبير الحركة والاضطراب والخفقان فالفلك من كل شيء مستداره وكل مستدير فلكه وموج البحر ما اضطرب من مائه فهاج وماج .

— كلمة hark تعيد معنى الحركة اما جيئة او ذهابا او مطاردة او اصفاء فكلمة hark-back معناها عودة الى الوراء .

وقد استعرضنا في أحد أبحاثنا (1) اللغوية بعض جوانب هذا الارتباط بين اللغة العربية وبعض اللهجات أو اللغات المشتقة من اللسان اللاتيني وجمعنا مادة خاصا يمكن التركيز عليها لدراسة العوامل التى جعلت كلمة بعينها تؤثر تأثيرا خاصا في لغة شعب ما في عصر ما مستشفين من وراء ذلك مدى ارتباط بعض الشعوب ببعضها ببعض واسباب هذا الارتباط ولسنا نقصد بذلك سوى محاولات واسهامات أولية لا يمكن أن ننتظر منها الشيء الكثير غير أنها قد تفتح — اذا ما تبلورت منهجيتها — آفاقا جديدة وثيقة الصلة بنفسانية الشعوب .

وستنخذ اليوم اطارا لدراستنا اللغة الانجليزية التى حاولنا تجميع نماذج من مفرداتها خلال بحث موصول منذ سنوات لنصوص علمية بهذه اللغة .

وسيقتمر بحثنا اليوم على استعراض هذه النماذج مع ذكر مقابلاتها العربية والاشارة الى مختلف معانيها ومجالات الربط بينها تاركين التعمق في المقارنة والتفتير والاستنتاج الى بحث لاحق :

— كلمة abide معناها ثبت وصمد وتأبد

ومعنى abiding ثابت دائم من الإبد أى الدهر الطويل غير المحدود المسى « أبد الأبدين » .

— كلمة beset ومعناها هاجم واكتنف تحتوى حرفين هما b. s (بس) يفيدان السيطرة والاحتواء بمد اليد وبسطها ويوجد الحرفان في كلمتين عربيتين هما بسق وبسط يقال بسق الرجل على الناس تطاول عليهم وبسط يده على الناس كناية عن التجرؤ على اذابتهم وقد ورد في الآية : « لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لامتك » .

— كلمة bewilder ومعناها اضل وأربك ويمكن مقارنتها بكلمة adirer الفرنسية وكلاهما

(1) مجلة اللسان العربى م 11 ج 3 ص 228 .

مظاهر الخير كالكرم والفضل والنجدة حيث يقال مثل الرجل مثالة فضل والامثولة المثال الحسن وتماثل العليل قارب البرء وامثل امره عمل على مثاله واطامه والمائلة منارة المرسجة والرجل الامثل اى الافضل ويطلق ايضا كما في الكلمة الانجليزية على الحجة .

— كلمة meeknes تفيد الخضوع والخمول وهى مثل كلمة « مسكنة » على ان مادة « كئس » ايضا تفيد الانزواء والخمول والتبوع يقال كئس الرجل اذا دخل خيمته والكئاس بيت في الشجر يستتر فيه الطيى .

— كلمة neigh بمعنى سهل كناية عن صوت الحصان وقد يبرز الاستعمال احيانا في بعض اللغات عدم الدقة في تمثيل الاصوات فهى هنا قريبة من « نهق » المخصصة للتعبير عن صوت الحمار .

— كلمة rash معناها رشح وطلح وتفيد مادتها انتشار الماء مثل رش .

— كلمة slink ومعناها انسلل اى ذهب خفية .

— كلمة shatter معناها كسر وحطم وهى قريبة من شطر .

— كلمة slit ومعناها شق وقطع وقد صلته بالسيف اذا ضربه به وصلت الفرس انقطع عبوه وسيف صلت صقيل قاطع .

— كلمة snare بمعنى احبولة وشرك وهى الصنارة .

— كلمة sway بمعنى تسلط وسطا وسيطر .

— كلمة swarth تفيد معنى الدكنة والسبرة والسواد فوجود السين والواو (كما في السواد) او السين والميم (كما في swarth وسبرة) يفيد ذلك .

— كلمة tread فيها معنى المشى والسوق والطراد مثل طرده وطارده .

— كلمة tie فيها معنى اللى والثنى والطفى والمعد .

— كلمة gush معناها يسيل ويتدفق ويتعجر وكلمة « جاش » لها نفس المعنى يقال جاشت العين ناضت بالماء وجاش الوادى زخر والنجيع سال وجاشت القدر ارتفع ما فيها وتدفق وجاشت النفس تجسرت حزنا وفزعا .

— كلمة hard معناها صلب قاس عسر والحارد بالعربى الشديد وهو يفيد بالانجليزية الشديد القدرة على الاحتمال وفي العربى المجتمع الخلق الشديد المهيب الذى تحسبه من عزة نفسه غير ذلك .

— كلمة harm معناها الاذى والضرر والحرام كل اذى يحرم اى لا يحل وهذه المادة تفيد المنع او ما يؤدى الى المنع ومنه الحرمان والحرمة ما لا يحل انتهاكه والحریم ما حرم فلم يمس وحریم الرجل ما حماه من الاذى والضرر ومنه تسمية نساء الرجل بالحریم والمحرم ما يحى من الاذى ومحارم الليل مخاوفه ويقال انه لمحرم عنك اى يحرم اذاه عليك .

— كلمة harsh معناها خشن اجش وفي العربى يقال حرش الشيء يحرش حرشا خشنا فهو احرش وهى حرشاء والحرش والحرشة الخشونة وحيسة حرشاء بينة الحرش خشنة الجلد .

— كلمة handsome بمعنى وسيم مليح كبير ضخم وهى قريبة من مهتمم بمعنى حسن القد معتدل القامة وسيم الطلعة (وهو من الهندام) .

— كلمة kindle معناها يضرم النار ويوقدها ويوهج النور وتجدر مقارنته بكلمة تنديل بمعنى مصباح .

— كلمة lean معناها هزيل ضعيف نحيل أعجف وهو قريب من مفهوم « لين » من الليونة وهى ضد الخشونة ، واللينه الضعف .

— كلمة lore معناها علم ومعرفة ويمكن مقارنتها بكلمة نور العربية وهى كناية عن العلم فى بعض معانيها وقد عرف الامام مالك العلم بأنه نور يندح فى القلب ويقال بالفرنسية lueur

— كلمة mettle ومعناها مثال الشجاعة والمعزم حيث يقال to show one's mettle اى اعطى الدليل والقدر والمثال ولا تكون الا فى ابراز

بل وخاصة في نطاق تداخل اللغات وإبعاده الانسانية
ولا أريد أن يفهم من مثل هذه الدراسة نزوع ما نحو
إبراز مدى اقتباس هذه اللغة من تلك لأن من الصعب
أن نوغل في الاستنتاج حتى في حالة انكشاف بعض
مجالي الشبه أو وحدة المنبع أو تكامل المنهجيات اللسانية
في مجموعة من المجموعات اللهجوية .

ذلك مجرد اسهام يلتقى بعض الضوء على « وحدة
اللغات » في أصلاتها الانسانية كحلقة في سلسلة
دراساتنا في هذا المجال .

— كلمة wail بمعنى الويل والمويل .

— كلمة wane فيها معنى الاتيهيار والقبول
الفناء مثل كلمة faner

— كلمة wield بمعنى ناول باليد فهي كالقلم
الفرنسية alder تحتوى على جذر « اليد » .

تلك نماذج سنحلل بحول الله أبعادهما في بحث
لاحق لا تحت شارة تاريخ « السيمياء المقارن » فحسب



الأنثى والنحلة والنساء

الأستاذ عبد الحق فاضل

من الأيناس وهو الإبصار » . وكان قارب الحقيقة لولا أنه تناولها من معنى الإبصار بدلا من معنى الالفة والانتذاب .

هو يروى كذلك عن الواسطي قوله : « سمي الأيناسيون أنسيين لانهم يؤنسون أي يرون (كلاهما بصيغة المجهول) ، وسمى الجن جنا لانهم يجتنون عن رؤية الناس أي يتوارون » . وكلامه هذا عن تسمية الجن صحيح ، لكن هذه الصحة زائدة يقينا بصواب خطئه في تسمية الأيناس الذي يؤيد خطأ الأزهرى .

وما حكاية تائيله .. الأيناس ؟

أنه من (الأيناس) .. وهذا من (الأنثى) ، فهنا . لكن من أين جاءتنا هذه الأنثى اللطيفة فأصبحت لنا مصدر الأيناس والاستئناس والأيناس ، بل والأيناسية ؟

الإنسان .. هذه الكلمة التي تدل عليك أنت القارئ ، وعلى أنا الكاتب ، لها قصة حقيقية بالسمع .

وما سمي الإنسان الا لنسيه
ولا القلب الا أنه يتقلب

ذلك ما زعمه الشاعر . وكنت أعتقد منذ الصغر أنه لم يكن جادا في هذا التخريج اللفظي وأنه إنما قال هذا عنى سبيل التلميح والتندر ، تعبيرا عن تشاؤمه واستخفافه بطبائع بني جلدته البشر .

وما كنت أحسب أن يمتد بي زمني حتى أقرأ في اللسان : « روى عن ابن عباس أنه قال : إنما سمي الإنسان انسانا لأنه عهد إليه فني » ! الآن أيضا لا أجدنى اصدق صحة نسبة هذا الكلام المبهم غير المدلل عليه ، الى ابن عباس .

والمعقول عندي أن يكون اسم (الإنسان) متأثرا من (الأيناس) بالضم ، وهذا من (الأنثى) ! ..

على أن ابن منظور يروى كذلك عن الأزهرى أن « أصل الأيناس (كالجنس) والأيناس (كالإبل) والإنسان :

شوك النخل الذى شملته التسمية الرحمية لانه طويل يشبه شكله سنان الرمح ، ومنه سنستخرج كل الالفاظ والمعانى التى ستعرض لنا في هذا الحديث .

من الاسل نشأت صيغة السلاء (كالرمان) وواحدته سلاءة (كرمانة) : شوكة النخل ايضا . ويخيل لنا ان هذه السلاءة هى منشأ فعل سل يسلم فلان الشوكة ، اذا نشبت في جلده فأخرجها .. حتى جاء المعجم ليقول لنا سل المرء شيئا من شيء واستله : انتزعه وأخرجه ، وسل سيفا : سحبه من غمده ، وسل الشعرة من العجين : انتزعا برفق .

وانسل المرء من الزحام (والاصح عندنا : من الجمع) انسلالا : انسحب مستخفيا . ويظهر ان هذا (الانسلال) هو منشأ قولهم نسل ينسل (كذهب يذهب) الشعر والریش نسولا ، وانسل انسلالا : سقط . والنسال (كالسؤال) : ما سقط من صوف او شعر عند النسل ، ونسل الوالد ولدا : ولده ، ولابد انه يقصد سبب ولادته لان الوالد لا يلد وانما هى صنعة الوالدة . والتناسل : التوالد .

ونود بهذه المناسبة ان نزجى صيغة ، بل صيغتين ، من مادة (ن س ل) بمعنى مستحدث ، هما أولا : (المنسال) نقترح استعماله بمعنى آلة التناسل للذكر والانثى كليهما . صحيح ان الفصحى استعملت (الفرج) بالمعنيين لكن هذه الكلمة تخصصت بالمرأة ولم يعد بالامكان استعمالها بهذا المعنى المزدوج دون قرينة مميزة . لكن (المنسال) بصيغة اسم الآلة لكلا الجنسين يفي بالرام . وجمعها مناسيل ، مثل مفتاح على مفاتيح ، ومصباح على مصابيح .

الصيغة الثانية التى نقترحها هى : (المنسل)

— زنة المذهب — بمعنى (الجنس) الذى يستعمل في عدة معان منها مقابل (sex) في مثل قولنا الشؤون الجنسية .. ومنها بمعنى السلالة مقابل (race) كالجنس الاصفر .. او مقابل (species) اى النوع من اجناس الحيوان او النبات .. او مقابل (kind) في (mankind) :

انها قيل كل شيء منحدره من (الاس) . وعسى الا يستعجل مستعجل فيظن الامر من السهولة بحيث يلوح للنظر السريع . سيقال ان النون اضيف الى (الاس) بكسر الهمزة — فنشأ (الانس) بالكسر ايضا ، وهذه تطورت فصارت (الانسان) .

فأين الانثى ؟ كلا ، لا يكفى تحوير اللفظ دون التغات الى المعنى . ان في المعجم العربى عشرات الالوف من الكلمات ينبغى ان تعرف منها الكثير تستحضره في ذهنك لتتعرف العلاقات القائمة بينها ، شأن المتقنى (*) يجب ان يستحضر في خاطره شخصيات الكثيرين من أهل البلد مع صفاتهم وسجاياهم ونزعاتهم وخصائص البيئة التى يضطربون فيها ويتعاملون ويتفاعلون معها ، مع معرفة ما تيسر من ماضيهم واحداث حياتهم .

فاذا نحن تحرينا شخصيات الالفاظ المتصلة بموضوعنا ورجعنا القهقرى بحثا عن الماضى ، وجدنا انفسنا قد عدنا الى (الاس) بالفتح والكسر والضم ، واذا بهذا الاس ينبج لنا الكثير من الالفاظ ، احدها (الاسل) زنة العسل : نبات دقيق الاغصان طويلها واحدته اسلة (زنة بصلة) . وقد اتخذوا منه الرماح ، ثم اطلقوا اسمه هذا مجازا على الرماح نفسها ، ثم على النبل .. ثم على شوك النخل . وصارت (الاسلة) تعنى ايضا : طرف اللسان ، والذراع ، ثم اطلقت على الطرف المستدق من اى شيء .

ومن الاسل نجم : العسل والاصل والياصول والوصل (ومنه الفصل) والعنصل (بالضم) ، وما الى ذلك مما لا شأن لنا به هنا . لكننا نكتفى بالقول ان مادة (اس) من الخصب والسخاء بحيث جهزت معجمنا العربى بالكثير من الالفاظ القيمة الخطيرة . ومن كان قد سائرنا في احاديثنا اللغوية في هذا « اللسان العربى » لا بد انه قد لاحظ تكرر عودتنا الى (الاس) في تأثيل مختلف الكلمات .

لكننا نأخذ من كل ما تقدم ذلك (الاسل) بمعنى

(*) زنة المتشفى : الشرطى السرى الذى يتقنى آثار المجرمين وغيرهم . وكان العرب يطلقون على من التقنى هذا اسم القيافة .

والعلاقة بين اللسان والسل سجلها الشاعر العباسي المتحذلق في كلامه على زهرة البنفسج التي تثبت لها زائدة جانبية كالذؤابة ، ففسر ذلك بقوله :

رغم البنفسج انه كعذاره
حسنا ، فسلوا من قفاه لسانه !

فلنا انهم سموا اللسان (نسالا) اول الامر ، فنحن الآن نطالب القارئ بأن يحاسبنا على ذلك ويطلبنا هو بالدليل .

اولا رأينا انهم قالوا نسل شعر أو ريش : بمعنى : سقط . ولقد استعملوا هذا الفعل متعديا ايضا فقالوا نسل شعرا او صوفا : انتفضه واسقطه . . كما استعملوا (النسال) — بالضم — بمعنى ما يسقط من صوف أو شعر عند النسل — أى عند انتزاعه ومنتفضه . فلا عجب اذن انهم استعملوا (النسال) بمعنى اللسان الذى ينسلونه وينتزعونه . وقد بقى من معنى الانتزاع قولهم انصل شيئا من شيء : أخرجه .

والمسألة هنا ليست مسألة استنتاج وحسب ، فان بعض اللهجات المغربية تسمى اللسان (النسال) فعلا . وقد استغرقت حين طرقت اللفظة سعى اول مرة وحسبتها تحريفا عابيا للفصح ، كما هو شأن الدارجات أحيانا ، لكن التأثيل قادنى الى عكس هذا الظن أى الى الاعتقاد بأن (النسال) هو ائل (اللسان) بالفصحى ، واذا بالفصحى هى المحرفة للكلمة . . العامية !

بعد ان استقرت صيغة (اللسان) وثبتت مبنى ومعنى — صارت تعنى كذلك ، المقالة ، والثناء ، والرسالة . . واللغة .

وهى بمعنى اللغة تنطق بالشين فى الاكديّة (= البايلىة القديمة) : لشان .

ومن معنى اللغة ايضا : لسان ابن منظور : أى معجم « لسان العرب » . . ثم هذا « اللسان العربى » الذى تحت بصرك .

ثم هم اطلقوا (اللسان) — استعاره — بالاضافة الى ما تقدم — على ما استدق وطال من بعض الاشياء ؛ كلسان النار . حتى النعل اذا استطال صدرها سموه

الجنس البشرى . . او مقابل kind اطلاقا او sort او genus بمعنى النوع او الصنف من أى شىء . . او مقابل (nationality) أى الجنسية ، ونقترح لها : (الرعوية) . . او مقابل (generic noun) اسم الجنس فى علم التحو .

فتخفيفا عن كاهل هذه الكلمة المثقلة بأعبائها نقترح (المنسل) . . مثل المذهب الذى كان يعنى أمره مكان المذهب أى طريقته ثم صار اسما يعنى العقيدة والنحلة ، وكالمطلب والمأرب والمكسب ، وكلها على صيغة اسم المكان لكنها لم تعد لها صلة بالمكان ولا بالزمان . وعلى هذا نسمى الجنس (منسلا) ، والجنسى (منسليا) ، والشؤون الجنسية (منسلات) . . ويبقى (الجنس) تاصرا فى الاستعمال على (الجنسين) أى (جنس) الرجال و (جنس) النساء ، دونما علاقة بالشؤون التناسلية ، كتكولك الجنس اللطيف والجنس الفظيع أو الخشن !

اللسان :

لم أجد فى المعجم ، لكننا كلنا وجدنا فى الكثير من مطالعاتنا قولهم سلوا لسانه : انتزعوه — بشدة طبعا — لا كما يسلون الشعرة برفق من العجين لرققتها اشفاقا عليها من أن تنقطع ، لان المقصود من سل اللسان ما هو الا قطعه . ولا ننس أن الكثير من الاعضاء انها اكتسبت تسمياتها من معنى قطعها أو شقها أو كسرها (كالذى أوضحناه فى فصل « العنف فى تسمية الاعضاء » — اللسان العربى : العدد 10 — ج 2 — ص 3) .

وكان سل اللسان فى اول أمره يخص الحيوان . ومقصودنا انهم كانوا قد سموا اللسان (نسالا) لانهم كانوا ينسلونه أى يسلمونه من فم الذبيحة بعد انضاجها طبخا أو شيا . .

على ان أعضاء الانسان المحترم ومنها اللسان لم تسلم من الجائحة . فقد جعلوا يسلمون لسانه حيا ، وهو أفطع ، عقابا أو تعذيبا ، ومثل ذلك انهم كثيرا ما صلحوا اذنيه أو سلحوا عينيه ، ولا بأس علينا أن نلاحظ فى طريقنا ، استطرادا ، ان الفاظ السلم والسلم والنسل مرجعها التأثيلى واحد هو سل يسلم سلا .